العربي، ولم تستطع حصيلة النضال الفلسطيني، على الرغم من نبل التضحيات، أن تؤثر في معادلة الصراع، وسرعان ما أصبحت الطريق معبدة لوقوع الكارثة عام ١٩٤٨.

(ب) الطرف العربي خلال الحرب وحتى النكبة:

في حين استفاد الصهيونيون من فرصة الحرب لم يحسن الطرف العربي الاستفادة من هذه الفرصة في مجال مجابهة الكارثة المتوقعة، ولكن الحرب نفسها أسفرت عن نتائج مهمة منها حصول سوريا ولبنان على استقلالهما وجلاء الجيوش الفرنسية عنهما عام ١٩٤٦، ومنها أيضاً تشديد نضال الجماهير العربية في المشرق العربي ضد تحالف الاقطاع والبرجوازية وظهور طليعة الثورة التحررية العربية التي وعت قضية فلسطين منذ الأربعينات وأخذت تمارس نشاطها في نشر الوعي القومي والتقدمي وتنبيه الجماهير العربية إلى الخطر الصهيوني على فلسطين والأمة العربية.

أما المغرب العربي، فقد كان معزولاً عن المشرق ومنهمكاً في مقاومة الاستعمار الفرنسي ومشاريعه الاستيطانية. وعلى الرغم من تنبه الجماهير العربية المبكر للخطر الصهيوني فإن الحكومات العربية لم تفعل شيئاً في سبيل الاعداد للمعركة المتوقعة مع العدو، بل خلاف ذلك لعبت دور المهدىء للتحرك الشعبي العربي داخل فلسطين وخارجها.

كما أن ظروف الاحتلال الصعبة لم تسمح للشعب العربي الفلسطيني أن يهيىء نفسه إلا حين بدأت بريطانيا بتخفيف قبضتها بعد اعلان قرار التقسيم. وعلى الرغم من تضحيات الأفراد ونشاط «اللجان القومية» التي شكلت على عجل في مختلف المناطق فإن قوات «الجهاد المقدس» المؤلفة من متطوعين فلسطينيين لم تكن في وضع يؤهلها لمقارعة القوات الصهيونية المدربة والمسلحة وان كانت أبدت ضروباً رائعة من التضحيات ولا سيما في منطقة القدس بقيادة الشهيد عبدالقادر الحسيني. وفيما بعد رفدت قوات «الجهاد المقدس» بقوات «جيش الانقاذ» الذي شكلته الجامعة العربية على عجل وضم متطوعين من مختلف أقطار الوطن العربي بما في ذلك المغرب العربي.

وكانت قوات الانقاذ تشكو من ضعف التدريب والتسليح والتجانس، ومع ذلك خاضت معارك ضارية ضد القوات الصهيونية وقدمت تضحيات جسيمة، جسدت ثانية التيار النضالي العريق القائم على امتزاج الدم العربي فوق تراب فلسطين.

وحين دخلت الجيوش العربية النظامية إلى فلسطين، لم يكن حظها أوفر من حظ جيش الانقاذ في التأثير في مجرى الصراع؛ وذلك لأسباب سياسية وعسكرية يرجع معظمها إلى ثلاثة عوامل أساسية:

١ ــ ارتباط قيادات معظم هذه الجيوش بالاستعمار، كما كان الشأن بالنسبة للجيوش الأقوى والأقدم عهداً مثل الجيشين العراقي والمصري. وكان الجيش العربي (الأردني) بوجه خاص تحت إمرة ضباط بريطانيين.

٢ ــ حداثة عهد بعض الجيوش وضعف امكاناتها كالجيش السوري، مثلاً، الذي دخل الحرب بعد سنتين من الاستقلال.

٣ ــ تَبعية معظم الأنظمة للاستعمار بشكل مباشر أو غير مباشر.